على هامش معالم التقريب *

نمو الطاقة الروحية والعقل

من المميزات الكبرى للحضارة الحديثة، احترامها للتفاصيل وعنايتها الهائلة بالتعرف على الأجزاء وأجزاء الأجزاء. وهكذا .. ووصل هذا إلى الجزىء ثم إلى الذرة فأجزاؤها، وما نجم عن ذلك من تقدم من ناحية، ومن أسلحة الدمار الشامل كالقنابل الذرية والهيدروجينية من ناحية أخرى .. ومع اكتشاف الحضارة الحالية لعالم الأحسام الدقيقة بطاقاتها الهائلة وتعاملها معها تعاملا فاق كل توقع، أتاح ذلك اكتشاف عالم غريب بعيد الأغوار كثيف الأستار، وانفتحت بانفتاحه أمام عقل الإنسان ـ أبواب أخرى واسعة جدا للتأمل والتعلم .. وقف أمامها وأمام أسرار الكون رواد العلم الطبيعى ـ من نيوتن إلى أينشتين ـ حائرين محملقين فى دهشة وإعجاب ممزوجين بالشعور بالضآلة وقلة ما لدى الإنسان من علم بأسرار هذا الكون .

هذا وربما استطاع الهمجى أن يحيا حياة معظمها بلا طعم متصل، لقلة حظه من المعرفة والتأمل . ولكن ذلك محال بالنسبة لمن نما وعيه وذكاؤه وأصبح يراقب باستمرار خط حياته وسيرها ككل، ويزنها ويقيسها ويقومها .. بما يلازم اطراد نمو وعيه من احتياج إلى جرعات أكبر من الإيمان .. تنشط طاقته الروحية ويواجه

---

* المال ٢٠١١/٣/٢٣

بها الشكوك والتساؤلات التى تقرع عقله بشدة وهو يطلع على ما يتاح له الاطلاع عليه من أسرار هذا الكون الفسيح المعجز .

فالإيمان أكثر ضرورة للإنسان الذكى شديد الذكاء واليقظة، وهو فيما يرى ويحدثنا محمد عبد الله محمد - ضرورى جدا لكى يحمل مع حياته القبول والرضا ويتحمل ما يصادفه فيها دون أن يتصدع من داخله .. ونمو الطاقة الروحية باطراد معناه نمو روح الآدمى .. ويحتاج هذا النمو الذى يشبه إيقاعه النغمة أو اللحن - يحتاج إلى وقت يتهيأ فيه للإنسان استيعاب روحه وقبولها لما يرد عليها من تغييرات مفاجئة أو طفرات لا تسمح له سرعة تواليها وكثرتها - بالعثور على إيقاع جديد يستوعبها، فتتقلص روحه وتتحوصل ما لم يوافها الإيمان بالمدد الذى يكرس قدرتها على الاستيعاب .

وتوافر هذا الإيقاع لا يمضى مع الإنسان على وتيرة واحدة .. فأحيانا ما يخبو أو يضيع، وأحيانا ما يستقيم.. على أن ظواهر الحياة النفسية تتوقف على توافر أو اتساق أو اضطراب هذا الإيقاع .. فإذا أسرع هذا الإيقاع أخذت بعض هذه الظواهر النفسية فى التغير أو الاختفاء .. يسرى ذلك على عواطف الرحمة والضمير والشعور الدينى والأخلاقى .. وعلى التضامن الاجتماعى والتعلق بالقيم العامة والمصالح العامة .. وعلى الإحساس الوطنى والمدنى .. فكل ذلك يتأثر حتما بتغير إيقاع حياة الناس أو اختلاله ..

وكما تصاب الظواهر النفسية بالاضطراب من النوائب أو الكوارث أو الملمّات أو الثورات، حتى لا يكاد الإنسان يعرف نفسه فى ردود أفعاله وتصرفاته، فإن هذه الظواهر النفسية تصاب أيضاً بشىء يشبه ذلك حين يختل إيقاع الحياة بالإبطاء أو الخفوت للمرض الطويل أو الاعتقال أو السجن الطويل أو الإدمان وغير ذلك مما يطفئ لدى الإنسان أنوار حياته ..

وحياتنا العادية مليئة فى هذا العصر بالنشاز والتناقض .. لأن معظمنا لا ينظر إليها نظرة كلية، وإنما يتعامل معها نتفا نتفا ...يدفعنا إلى ذلك ضغط الظروف ومطالب عواطفنا ورغباتنا .. ونادرا ما نحرص على ضم هذه النتف أو الأجزاء أو القطع المتفرقة فى حياتنا لنراها رؤية كلية .. لذلك يتزايد الغمام وتتزايد الاحتكاكات والصدامات والخصومات والأحقاد ..

لذلك لا يلتفت معظم الناس إلى " المشاركة " التى يسهم الآخرون معهم فيها، ولا يقدّرون هذا الاشتراك حق قدره .. ذلك لأنا نهمل النظر إلى حياتنا ككل .. ولو نظرنا إلى هذه الصورة الكلية التى نصدف عنها، لرأينا ما تضمه خطوطها الكبرى من معالم وروابط المحبة والصداقة وعلاقات التعاون وتبادل الخبرات والخدمات ورفقة الكفاح وصحبة الأوقات الندية ودفء المودّات .. ولأننا لا نلتفت هذا الالتفات فى معظم الأحيان، فإننا نعجز عن رؤية أو لا نقدر مسافة الطريق التى قطعها كل منا مع زوجه أو ذويه أو أصدقائه أو زملائه .. ولا نلتفت إلى أن هذه المسافة الطويلة ـ مسافة إنسانية جليلة عامرة بما تستحق من أجله الالتفات والإكبار . فقد أعطتنا وأعطت من رافقونا القيمة والمعنى الذى أنقذنا وأنقذهم من التفاهة والفراغ .

من الحماقة الشديدة أن نهمل الالتفات إلى ماضينا المشترك مع الآخرين .. حين لا ننظر إلى حياتنا إلا كأجزاء منفصلة لا خيط يربطها .. فندفع ثمن هذه الحماقة فى شيخوختنا أو فيما نلقاه من هزائم !

يلفت محمد عبد الله محمد إلى أن اللحظة التى يشعر فيها الإنسان بالرغبة فى الانطلاق من رق نفسه وشواغلها واهتماماتها برغابها وهمومها . هذه اللحظة هى دائما نافذة على السماء وخطوة

ى الاتجاه إلى الله .. تسمح بالتأمل والاتصال به عز وجل .. اتصالاً تجاوز الإنسان فيه ذاته وسحنه ويدير ظهره للدنيا التى كفلتها لغرائز للحيوان .. عند دلك نرى الحياة رؤية صافية ونمسك بحقيقتها .. فتتجلى لنا معالم الطريق الذى يربط على قلوب لمؤمنين ويقارب بينهم فى رحاب الله .